@ 790 @ النفل ، من غير موجب لذلك . وإذا كان ا قد نهى عن إبطال الأعمال ، فهو أمر بإصلاحها ، وإكمالها وإتمامها ، والإتيان بها ، على الوجه الذي تصلح به علما وعملا . ! 2 2 ! هذه الآية والتي في البقرة وهي قوله تعالى : ! 2 2 ! مقيدتان ، لكل نص مطلق ، فيه إحباط العمل بالكفر ، فإنه مقيد بالموت عليه . فقال هنا : ! 2 2 ! با وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ! 2 2 ! الخلق ! 2 2 ! بتزهيدهم إياهم بالحق ، ودعوتهم إلى الباطل ، وتزيينه . ! 2 2 ! لم يتوبوا منه ! 2 2 ! لا بشفاعة ولا بغيرها ، لأنه قد تحتم عليهم العقاب ، وفاتهم الثواب ، ووجب عليهم الخلود في النار ، وسدت عليهم رحمة الرحيم الغفار . ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم ، فإن ا يغفر لهم ويرحمهم ويدخلهم الجنة ، ولو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصد عن سبيله ، والإقدام على معاصيه . فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة ، ولم يغلقها عن أحد ، ما دام حيا متمكنا من التوبة . وسبحان الحليم ، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة ، بل يعافيهم ، ويرزقهم ، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم . ثم قال تعالى : ! 2 2 ! أي : لا تضعفوا عن قتال عدوكم ، ويستولي عليكم الخوف ، بل اصبروا واثبتوا ، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد ، طلبا لمرضاة ربكم ، ونصحا للإسلام ، وإغضابا للشيطان . ^ (و) ^ لا ! 2 ! 2 والمتاركة بينكم وبين أعدائكم ، طلبا للراحة ، ^ (و) ^ الحال أنكم ^ (أنت الأعلون وا معكم ولن يتركم) ^ ، أي : ينقصكم ! 2 2 ! . فهذه الأمور الثلاثة ، كل منها مقتض للصبر وعدم الوهن كونهم الأعلين ، أي : قد توفرت لهم أسباب النصر ، ووعدوا من ا بالوعد الصادق ، فإن الإنسان لا يهن إلا إذا كان أذل من غيره وأضعف عددا ، أو عددا وقوة داخلية وخارجية . الثاني : أن ا معهم ، فإنهم مؤمنون ، وا مع المؤمنين ، بالعون والنصر والتأييد ، وذلك موجب لقوة قلوبهم ، وإقدامهم على عدوهم . الثالث : أن ا لا ينقصهم من أعمالهم شيئا ، بل سيوفيهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، خصوصا عبادة الجهاد ، فإن النفقة تضاعف فيه ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة . ! 2 2 ! . فإذا عرف الإنسان أن ا تعالى لا يضيع عمله وجهاده ، أوجب له ذلك النشاط ، وبذل الجهد ، فيما يترتب عليه الأجر والثواب ، فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة ؟ فإن ذلك يوجب النشاط التام ، فهذا من ترغيب ا لعباده ، وتنشيطهم وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم . ^ (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم * إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم * ها أنتم ه ؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل ا

فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه وا الغني وأنتم الفقرآء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) ^ هذا تزهيد منه تعالى لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها ، بأنها لعب ولهو ، لعب في الأبدان ولهو في القلوب . فلا يزال العبد لاهيا في ماله ، وأولاده ، وزينته ، ولذاته من النساء ، والمآكل والمشارب ، والمساكن والمجالس ، والمناظر والرياسات ، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه ، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي ، حتى يستكمل دنياه ، ويحضره أجله . فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت ، ولم يحصل العبد منها على طائل ، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه وحضر عذابه ، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها ، وعدم الرغبة فيها ، والاهتمام بشأنها . وإنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله : ! 2 2 ! بأن تؤمنوا با ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته ، وهي العمل بمرضاته على الدوام ، مع ترك معاصيه ، فهذا الذي ينفع العبد ، وهو الذي ينبغي أن يتنافس فيه ، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه . وهو مقصود ا من عباده رحمة بهم ، ولطفا ، ليثيبهم الثواب الجزيل ، ولهذا قال : ! 2 2 ! ، أي : لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم ، ويعنتكم من أخذ أموالكم ، وبقائكم بلا مال ، أو ينقصكم نقصا يضركم ، ولهذا قال 2 ! : 2 ! ، أي : ما في قلوبكم من الضغن ، إذا طلب منكم ما تكرهون بذله . الدليل على أن ا لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها ، أنكم تمنعون منها ! 2 2 ! على هذا الوجه ، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية . ! 2 2 ! . أي : فكيف لو سألكم ، وطلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة ؟ أليس من باب أولى وأحرى ، امتناعكم من ذلك .